104174 - هل القراءة واستماع الشروح طريقة صحيحة في طلب العلم ؟

السؤال

أنا طريقتي في طلب العلم أقرأ الكتب العلمية في العقيدة وغيرها من الاستماع للشروحات في المسجل ، للشيخ العثيمين رحمه الله ، فهل تعد هذه الطريقة صحيحة في الطلب ؟
وهل أقول أن الشيخ العثيمين أو غيره من المشائخ (شيخي) إذا كنت لم أثن الركب عنده ، ولم أحضر مسجده ، أي أنني تابعته في الأشرطة فقط ؟
وجزاكم الله خيراً كثيراً ، وبارك الله فيكم وفي علمكم ..

الإجابة المفصلة

أولا :
العلم الشرعي يقوم على ثلاثة أركان :
1- الحفظ : وأعني به حفظ ما يتيسر من : النصوص القرآنية والنبوية والأفكار والمعلومات والمتون العلمية .
2- الفهم : فهم المسائل الكلية والجزئية ومعرفة تعليلها وتفسيرها .
3- التحليل والاستنتاج والابتكار : بناء على الربط بين النصوص ، وفهم المقاصد الشرعية والقواعد الكلية في أنواع العلوم الشرعية .
وأما القراءة وحضور الدروس واستماع المحاضرات المسجلة وسؤال أهل العلم ما هي إلا وسائل لتحصيل هذه الأركان ، وكلما تنوعت هذه الوسائل تحققت النتيجة الأفضل ، ولا شك أنها جميعها وسائل مهمة ، إلا أنَّ مَن لم تتيسر له جميعها فلا يعدم أن يجتهد في المتيسر منها ، خاصة أن القراءة وسيلة سهلة ميسورة اليوم ، وهي أفضلها وأجمعها على الإطلاق ، فمن اجتهد فيها وفي استماع المحاضرات فقد حصَّل خيرا كثيرا ، بشرط أن يلتفت إلى أركان العلم الثلاثة المذكورة فيسعى في تنميتها وتطويرها في نفسه من خلال القراءة ، فلا يجعل القراءة غاية ، بل هي وسيلة لتحصيل تلك الأركان ، وذلك يعني العناية التامة بحفظ المهم من المقروء ومراجعته بين الحين والآخر ، وفهمه الفهم الحسن على وجهه ، مع محاولة مناقشة وجهه وتفسيره ونقده إن أمكن ، فإذا تعود القارئ على هذا النوع من القراءة حصل الفائدة المرجوة ، وإلا لم يَجنِ مِن قراءته إلا الثقافة العامة والاطلاع العام .
ثانيا :
استماع المحاضرات المسجلة أيضا من الوسائل المفيدة في تحصيل العلم الشرعي ، وتعويض العجز عن السفر والرحلة للقاء العلماء والمشايخ ، بل وتوفير الوقت والجهد والمال ، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة التي قد سبق بيانها في جواب السؤال رقم : (89575)
يقول الشيخ عبد العزيز السدحان في "معالم في طريق طلب العلم" (41-42) :
" الأشرطة السمعية : هي والله نعمة ، لكن كثيرا منا فرط فيها ، وسبب التفريط في هذه النعمة يعود إلى عدم الاهتمام بترتيب الوقت ، ولقد قرأت أثرا في أول الموضوع أن السلف كانوا يقولون : إن العلم يؤتى ولا يأتي ، والآن يؤتى ويأتي بواسطة هذه الأشرطة التي تعين طالب العلم ، ولقد ذكر المستمعون لها أن فيها خيرا كثيرا ، ولقد انتفعت بها واستفدت خيرا ، أقول هذا من باب التحدث بالنعمة .

والصنعاني يقول في منظومته في الحج :

ومن لم يجرب ليس يعرف قدره فجرب تجد تصديق ما قد ذكرناه .

أليس من نعمة الله عليك أن يكون العلم مصاحبا لك في سيرك ، وفي اضطجاعك على فراشك ، وفي جلوسك على مائدتك ؟

وإن الواحد منا إذا أحسن انتقاء الأشرطة ، ورتب وقتا لسماعها في سيارته أو منزله لوجد في ذلك خيرا كثيرا .

وقد حدثت أن أحد الشباب الصالحين قد حفظ القرآن الكريم كله بفضل الله ، ثم بسبب هذه الأشرطة ، ويقول عن نفسه : إنه كان يستمع إلى قراءة الشيخ محمد صديق المنشاوي سنتين كاملتين ، كلما انتهى من شريط أعاده حتى أصبح القرآن سلسا على لسانه .

فلا تستبعد هذا على نفسك ، ولكن رتب وقتك ، ورتب هذه الأشرطة في أثناء سماعك لها ، ولا تدخل شريطا على آخر حتى تفرغ من الأول ، فإن لم تستفد من الشريط الأول فأعده مرة ومرتين وكرات ومرات .

وإذا أردت أن تعرف قدر الساعات التي تهدر فانظر في سيرك كم تسمع خلاله من شريط ، فإذا كان الشريط الواحد مدته ساعة أو ساعة ونصف ، فهذه أوقات تهدر لا يفطن لها الواحد منا إلا إذا نبه لها ، فرتب لنفسك وقتا تسمع فيه درسا في أثناء سيرك ، خاصة وقد تباعدت المنازل والدور ، وكثر الذهاب والإياب ، لأجل العمل والزيارات ، كزيارة رحم أو زيارة أخ في الله ، وقضاء حاجة من متطلبات المنزل وغيرها ، ثم حافظ على هذا الترتيب وسترى أنك لا تنزل من سيارتك إلا وقد سمعت من الفوائد الشيء الكثير .

ذكرت هذا لكثرتها ، ولأن فيها من العلم الشيء الكثير ، ولأن مشايخنا وكبار مشايخنا علمهم محفوظ فيها ، وتباع بأيسر الأثمان ، ويستطيع الواحد منا أن يتناولها في كل وقت .

وأعرف إخوة شغلوا عن حضور الدروس لكثرة الأعمال والأشغال ، فعوضوا هذا بالاستماع إلى الأشرطة فنفعهم الله بها " انتهى .

ثالثا :

لفظ الشيخ قد استعمله علماء الحديث ـ في هذا السياق ـ بمعنى الراوي الذي يروي الحديث لمن دونه ، فيكون هو شيخه وذاك تلميذه ، ولو سمع منه حديثا واحدا فقط .

وأطلقه كثير من العلماء المتأخرين على العالم الذي لازمه الطالب ، فأخذ عنه علمه وهديه وسمته ، وصاحبه زمانا يتحقق فيه مقصد التفقه والتعليم .

ولعل هذا الاصطلاح الأخير هو السائد في عصرنا اليوم . وبناء عليه :

فالذي يريد أن يسمي واحدا من العلماء بأنه " شيخه " ، فينسب نفسه إليه ، ينبغي أن يراعي اختلاف المدلول الذي يحمله هذا اللفظ عبر العصور ، ومراعاة ذلك تكون بالصدق وعدم الإيهام ، فلا ينبغي أن تطلق على أحد العلماء بأنه " شيخك " موهما أنك لازمته وحضرت له وأخذت عنه الشيء الكثير ، في حين أنك لم تسمع منه شيئا ، ولم تحضر دروسه إلا القليل ، وقد تكون لم تره أصلا ، فمن أوقع المستمعين في هذا الوهم يُخشى عليه أن يشملَه قولُ النبي صلى الله عليه وسلم : (الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ) البخاري (5219) ومسلم (2129)

يقول النووي في "شرح مسلم" (14/110) :

" قال العلماء : معناه : المتكثر بما ليس عنده بأن يظهر أن عنده ما ليس عنده ، يتكثر بذلك عند الناس ، ويتزين بالباطل ، فهو مذموم " انتهى .

أما من أطلق لفظة " شيخي " – يقصد بها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مثلا – وكان المستمعون يدركون أنه إنما يعني تلمذة استماع

المحاضرات والأشرطة ، وليس الحضور والملازمة الحقيقية ، فلا حرج عليه حينئذ ، فهو لم يزور الحقائق ، ولم يستكثر بما لم يعط .

وقد كان الشيخ صديق حسن خان القنوجي ، المولود سنة (1248هـ) ينقل عن الإمام الشوكاني المتوفى سنة (1250هـ) ويقول : قال شيخنا . ولا يقصد به التلمذة الحقيقية ، لأن الشوكاني توفي وعمره سنتان فقط ، ولكنه أراد مشيخة القراءة والكتب ، فقد اشتغل القنوجي بكتب الشوكاني وعلومه ، وتبع منهجه فيها .

وللتوسع انظري جواب السؤال رقم : (1813) ، (10124) ، (20191) ، (22330)

والله أعلم .